في جوف الحوت:
تجارب فلسطينيّة في الجامعات الإسرائيليّة

تحرير:

يارا سعدي-إبراهيم

خالد جمال فوراني

في جوف الحوت: تجارب فلسطينيّة في الجامعات الإسرائيليّة

المحرّران: يارا سعدي-إبراهيم، خالد جمال فوراني

تدقيق لغويّ: حنّا نور الحاج

تصميم: أمل شوفاني

لوحة الغلاف: أسامة سعيد

Inside the Leviathan: Palestinian Experiences in Israeli Universities

Editors: Yara Sa'di-Ibraheem & Khaled Jamal Furani

أنتج الكتاب ضمن مشروع "الدفيئة النقديّة للمهارات البحثيّة"
في معهد فان لير بالقدس

All rights reserved.
Dar Laila Publishing Copyright 2022 ©
The Van Leer Jerusalem Institute Copyright 2022©

© جميع حقوق الكتاب محفوظة لدار ليلى للنشر والترجمة / معهد فان لير في القدس

عكّا

الطبعة الأولى- 2022

www.darlaila.com

info@darlaila.com

* تضمين صور "أكتيفستيلز" في هذا الكتاب يعكس تعاونها مع الكتّاب الفلسطينيّين وليس مع أي جهة أو مؤسّسة أخرى.

يُمنع تكرير، نسخ، تصوير، تسجيل، ترجمة، حفظ في قواعد بيانات أو نشر هذا الكتاب أو أجزاء منه بأيّ شكل أو وسيلة، إن كانت إلكترونيّة أو بصريّة أو آليّة، بدون تصريح مكتوب من دار ليلى للنشر والترجمة ومعهد فان لير.

ISBN: 978-965-92824-6-3

مقدّمة

خالد جمال فوراني
معهد فان لير في القدس

لنسرح معًا، على "فنجان قهوة" – إن صحّ التعبير – ولنبحر في الأعماق. هناك في عمقٍ ما، ثمّة مفترَض مؤسِّس لهذه المقدّمة هو أنّ الحقيقة بصبغتها الأكاديميّة لا يمكن لها أن تشكّل كلّ الحقيقة. فهي تأخذ -كونها الحقيقة- الباحثات والباحثين عنها، زمانًا ومكانًا في هذا الكون، إلى مَكْمنها، خارج جدران الجامعة كما نعرفها اليوم، نحو أسرار الحياة، وهمسات الموت وأقاصي اللغة وإلى سدرة الفكر ومنتهاه.

كيف لا "وكلّما اتّسعت الرؤية ضاقت العبارة" كما يقول النفّريّ،[1] أو كما لدى نيتشه الذي نفر وفرّ من الأكاديميا الحديثة،[2] فقال في مأثورته الشهيرة، مستاءً من تطلُّعات الغرب وإرثه، إنّ الحقيقة ما هي إلّا "جيش متحرّك من الاستعارات"، مُقِرًّا أيضًا بأنّنا لا ندرك أبدًا منبع ما قد يدفعنا نحو الحقيقة.[3] أمّا اللغة، فتترك لنا أمام هذا الالتباس فتحة تتيح لنا التأمُّل فيها وفيه. وهو تأمُّل في مسعى، لا مفرّ منه، لإدراك الحقيقة لمن يسير أو تسير على درب الفكر، في تخوم الأكاديميا وما هو خارجها.

فلنتأمّل، إذن، كيف نحتت اللغة العربيّة كلمتين مركّبتين من ثلاثة أحرف هجائيّة متطابقة، لا تختلفان إلّا في ترتيبهما لهذه الأحرف. وهكذا انبثقت مفردتا "الأمل" وَ "الألم". أتقصد اللغةُ أن تذكّرنا بارتباط الواحد بالآخر، فمن ألمنا يولد أملنا، ومن أملنا ندرك ماهيّة ألمنا؟ هذا، في كلّ الأحوال، سؤال قد يراود الواحد منّا حين نبحر في واقع الطلبة الفلسطينيّين ممّن يرتادون اليوم الجامعات الإسرائيليّة، حين ترى بينهم (وهم فرضيًّا من حَمَلة "الوعي المزدوج"،[4]

---

1. النفري، محمد بن عبد الجبار (2008). *ضاقت العبارة: الأعمال الكاملة للنفّريّ*. تقديم قاسم محمّد عبّاس. بغداد: دار المدى للثقافة والنشر.

2. في رسالة كتبها نيتشه،عام 1835، اعترف أنّه "ما من حياة أصيلة بحقّ لأجل الحقيقة ممكنة في الجامعة" (من ماكنتاير 1990، ص35).

MacIntyre, Alasdair C. (2009). *God, Philosophy, Universities: A Selective History of the Catholic Philosophical Tradition*. Lanham, MD: Rowman & Littlefield Publishers.

3. Nietzche, Friedrich. *The Portable Nietzche* (W. Kauffman, Trans). New York: The Viking Press, p. 44.

4. Du Bois, W. E. B. (1987). "Strivings of the Negro People." *The Atlantic* (August). www.theatlantic.com/magazine/archive/1897/08/strivings-of-the-negro-people/305446/

أو وعي "المنافي")[5] كيف يحاذي الألم والأمل خلال مسارهم الدراسيّ. وكأنّ "التشاؤل" هو نصيبهم مثلما كان نصيب أنموذج حالتهم (سعيد أبو النحس) كما تأتّى لإميل حبيبي التأمُّل في حال من تبقّى، في جوف الحوت، أي تحت دولة الاحتلال عام 1948.

لا شكّ أنّ أحد منابع هذا الارتباط (ولربّما أحيانًا الالتباس) بين الحالتين – أي الأمل والألم – هو الوطادة التي لا مناص منها في العلاقة بين الحاضر والماضي، وواقع الطلبة والطالبات لا يخلو من هذه الوطادة. فهناك ماضٍ لا يتعدّى عمره عقودًا معدودة جاهَرَ فيه حكام النظام الصهيونيّ بِنِيّة جعل أجدادنا وجدّاتنا سُقاة ماء وحطّابين في خدمة الأسياد،[6] ولا سيّما أثناء الحكم العسكريّ الأوّل (1948-1966).[7] أمّا في الحاضر، فإنّنا نشهد جيلًا جديدًا باقيًا على أرضه من شباب وصبايا يشقّون طريقهم زُرافات زُرافات عبْر الجامعات الإسرائيليّة.[8] بل إنّنا نجد هذه الجامعات، بـ"أيّامها المفتوحة"، تستقطبهم بلغتهم العربيّة فتفتح لهم مغريات ومنشّطات ومقوّيات الدخول فيها،[9] أو ربّما لتدخل هي فيهم.[10]

---

5. سعيد، إدوارد (2000). *خارج المكان*. ترجمة فوّاز طرابلسي. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

6. إبّان الحكم العسكريّ الأوّل (1948-1966)، تسلم أوري لوبراني منصب مستشار حكوميّ "للشؤون العربيّة" لرئيس وزراء إسرائيل، وكان مستشارًا لأمنها (في فترة الأعوام 1956 - 1963). إذ حينها رأى أنّ أمن دولته يتطلّب إبقاء مواطنيها العرب – على حدّ تعبير العبارة التوراتيّة: וְעַתָּה אֲרוּרִים אַתֶּם וְלֹא־יִכָּרֵת מִכֶּם עֶבֶד וְחֹטְבֵי עֵצִים וְשֹׁאֲבֵי־מַיִם לְבֵית אֱלֹהָי׃ (يهوشوع، 9:23).

عبده مخّول، جنان (2007). "بين 'التعليم العربيّ' وَ 'التعليم للعرب': سياسات التغييب وإمكانات التصدّي". مجلّة الدراسات الفلسطينيّة. المجلّد 18، العدد 69، ص 95 .

7. في فترة الحكم العسكريّ، جرت العادة أن يصنَّف الطلبة الفلسطينيّون في سجلّات المخابرات إلى ثنائيّ سلبيّ /إيجابيّ؛ وذلك وَفق إخلاصهم لدولة إسرائيل. وقد جرى الاستناد إلى هذه التصنيفات عند تقديم المِنح الدراسيّة أو عند التوظيف. كذلك كان ثمّة تدخُّل مباشر في النشاط الطلّابيّ الفلسطينيّ. انظر:

Sa'di, Ahmad, H. (2013). *Through Surveillance: The Genesis of Israeli Policies of Population Management, Surveillance, and Political Control Towards the Palestinian Minority*. Manchester,UK: Manchester University Press.

Zureik, Elia (1979). *The Palestinians in Israel: A Study in Internal Colonialism*. London: Routledge.

8. وفق دائرة الإحصاء المركزيّة (2019): في عام 1971، كانت نسبة الطلبة العرب لا تتعدّى الـ 1.7%. في العام الدراسيّ 2005/2004 بلغت نسبة الطلبة العرب في مرحلة البكالوريوس 8.4%، وفي العام الدراسيّ 2018/2017 بلغت نسبتهم 17.4%. انظر كتاب:

مصطفى، مهند (2002). *الحركة الطلّابيّة العربيّة الفلسطينيّة: دراسة نظريّة وتاريخيّة في جدليّة الجامعة والسياسة*. أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة.

9. هذه "السنة التحضيريّة" المُعَدّة للطلبة العرب متاحة اليوم في معظم جامعات إسرائيل وفي العديد من كلّيّاتها.

10. قواسمي، هنادي (15 كانون أوّل، 2020). "الخطّة الخمسية: ماذا تفعل "إسرائيل" في القدس؟" متراس.
https://metras.co/ا-الخطّة-الخمسية-ماذا-تفعل-إسرائيل-في/

وهنا يُطرَح السؤال عن تغيُّر الأحوال في مآل الفقدان الفلسطينيّ كما قد يتجلّى في واقع الطلبة: هل جاء حاضر يكفّر عن "خطيئة" الماضي، أم هل يجسّد هذا الحاضر تجدُّدًا لها؟ وأمام وابل من "خطايا" تتبدّد وأخرى تتجدّد يومًا تلو الآخر، من الضروريّ ألّا يفوتنا ترجيح الإمكانيّة أنّ الطلبة والطالبات يرتادون الجامعات الإسرائيليّة في غمار حرب متعدّدة الأوجه على وجدانهم الحقّ، بل متعدّدة الأسوار أيضًا (على حدّ تعبير مرشي ونصّار في هذه الثلاثيّة)، منها ما ظهر، ومنها ما استتر. هي حرب وإنْ تعدّدت مسمَّياتها: "سلامًا" طورًا، أو "اندماجًا" تارة، أو "موضوعيّة" تارة أخرى، أو "امتيازًا" تارة ثالثة، أو حتّى "تخصُّصًا"، فهي دومًا تنفي وجودهم لغة، ذاكرة، فكرًا، وجسدًا، ولم تنتهِ منذ لحظتها الفاصلة في العام 1948. ولربّما كان أحد شواهد استمراريّة هذه الحرب على الوجود الفلسطينيّ – كونها تقويضًا لمجتمع ومؤسّساته وقياداته –[11] هو انعدام وجود جامعة بحث عربيّة في الأراضي المحتلّة عام 1948حتّى يومنا هذا (ولا نخالها بالضرورة في مأمن من التدجين لو قُدّر لها أن تقوم فعلًا في يومٍ ما)، وإن كانت، من جهة أخرى، قد تكاثرت كلّيّات التدريس منذ العَقد الأخير في القرن العشرين.

بَيْدَ أنّ "تكاثر" الكلّيّات هذا، وذاك الاستقطاب للطلبة العرب، لا يشكّلان بالضرورة عزوفًا عن "الخطيئة"، بل قد يؤشّران إلى ديمومتها وربّما إلى ترسيخها كذلك. فمن الجائز أنّ حرب الطمس لم تنتهِ منذ عام 1948. وهي ما زالت على عهدها لا تقوّض المؤسّسات والقيادات فحسب، بل المستهدَف فيها هو الأرواح أيضًا. في فترتنا الراهنة، صار فعل القتل، على سبيل المثال، يحصد، أسوة بما يحصل لجيل المستقبل في العالم العربيّ والإسلاميّ القابعَيْن تحت أنظمة التفتيت والتشتيت والتغريب والتطبيع، يحصد روحًا من أرواح شبابه ها هنا، بالمعدّل، كلّ ثالث يوم في السنة الواحدة، خاصّة في العَقدين الأخيرين منذ هبّة أكتوبر عام 2000؛ إذ نجد أنّ الدولة "تصدّر" القتل إلى أيادٍ في "السوق السوداء" حيث تتفشّى الأسلحة وكأنّه ما من رقيب، وكأنّ الدولة – تلك التي ترصد وتتحرّى الأسلحة في شتّى أصقاع الأرض –

11. في تطرقه للبتر المستديم لعلاقة الفلسطينيّين الماديّة والمعنوية مع الأرض، بما فيه من تفتيت لنسيجهم الأسري، والمجتمعيّ، والمؤسّساتيّ، قد يساعدنا هنا إتيين بالبيار في فهم تغييب جامعة عربيّة في إسرائيل، التي أقام مشروعها الصهيونيّ المؤسس لها (إسرائيل) جامعاته (التخنيون والعبريّة) قبل أن يقيم دولته. إذ يرى بالبيار أنّ استهداف المؤسّسات التربوية التي تكون مهمتها صقل إرادات سياسيّة وقيادات مستقبليّة هو جزء من التجهيز المستديم لتصفية الفلسطينيّ. ويشدّد بالبيار على أنّ من شأن هذه التصفيّة أن تُفضي في نهاية المطاف إلى تقويض المواطنة برمّتها، كونها حسب تعريفه، الحيز للعمل السياسيّ بامتياز، والتي من محصلتها الدمار الذاتيّ للإسرائيليّ أيضًا.

Balibar, Etienne (2004). "A Complex Urgent Universal Political Cause." Lecture delivered at the Conference of Faculty for Israeli-Palestinian Peace (FFIPP), July 3-4, 2004, Universite Libre de Bruxelles, Brussels, Belgium.

تتنازل عن احتكارها لشرعيّة القتل من جهة، وعن واجبها في تأمين سلامة حياة مواطنين تحت إمرتها من جهة أخرى (على نحوٍ ما عُرِّف للدولة الحديثة في نظريّات السياسة الكلاسيكيّة).[12]

وهكذا فإنّ من لم يُقتَل جسدًا قد يُعتَقل، كما تشهد على ذلك حملاتُ الاعتقالات والخطف لطلبة الجامعات في الأراضي التي احتُلّت عام 1967، وحملاتُ تحقيقات المخابرات مع الجيل الشابّ داخل احتلال 1948، أو تحقيقات لجان الطاعة داخل الجامعات، لإرهابهم وثَنْيهم عن العمل السياسيّ.[13] ومَن لم يُعتقَل أو يُقتَل جسدًا فقد يلقى هذا المصير فكريًا.[14] بالتالي، من نجا بجسده ووصل إلى الجامعة، لأنّه لا يرقد تحت التراب ولا يُسجن خلف القضبان، فعليه (أو عليها) الآن أن يهتمّ بأن يلوذ إلى فكره. فتنطلق الطالبة الفلسطينيّة من هذه الأدغال المهندَسة كولونياليًّا،[15] حيث يَشيع فيها القتل والبطش عن طريق أذرع الدولة المتنوّعة مع تلاشٍ مستمرّ لحرمة الحياة فيها، لتدخل حرم الجامعة ووعي الفكر ومعضلات العصر، فتبعث الطالبة بهذا إمكانيّةً تجدّد ما تبقى من الأمل، ومصارعة الألم، نحو بزوغ جيل فذّ لأهل هذه الأرض فيبني حضورًا متجدّدًا ويشقّ مستقبَلًا، كالميرميّة وشذاها بين الصخريّة، ها هنا وفي أرجاء المعمورة.

ومن صُلب هذا الجيل الذي يعيش الأمل والألم معًا وُلدت هذه "الثلاثيّة" التي بين أيديكم. تأتي هذه "الثلاثيّة" ثمرة لمسار مجموعة فلسطينيّة من طلبة وطالبات منتسبين للدراسات العليا في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة في الجامعات الإسرائيليّة. التقت هذه المجموعة واسمها "الدفيئة النقديّة للمهارات البحثيّة" في معهد فان لير في القدس لعامَيْن من الزمن بوتيرة شهريّة بين العامَيْن 2020-2019. وما ضَبَطَ هذه اللقاءاتِ هو ثلاثة مَحاور من العمل

12. Weber, Max (1946 [1918]). "Politics as a Vocation." In *From Max Weber: Essays in Sociology* (H. H. Gerth and C. Wright Mills, Trans. and Ed.) New York: Oxford University Press.

13. انظر تقرير حملة "الحقّ بالتعليم" حول انتهاكات الاحتلال الإسرائيليّ في جامعة بيرزيت:
https://rb.gy/yvepmj [last accessed 29 October, 2021]

14. انظر مجد كيال (2020) في محاولته الأوّليّة لشرح انحباس المنبع الفكريّ في حركة الطلبة الفلسطينيّة، بل اندثار الحركة بعينها داخل الجامعات الإسرائيليّة:

Kayyal, Majd and Safi, Lubna (2020). "Palestinians Inside Israel: A Student Movement Without a University." *Critical Times* 3 (3): 496-501.

15. انظر مقالة وليد دقة عن التباين في معدلات الجريمة وتفشّي مغاير للإجرام المنظم عبر الامتداد الفلسطيني في البلاد على تمزقاته المختلفة، رغم توفر الأسلحة النارية عبر هذا الامتداد بكامله (فسحة، عرب 48، 26 كانون أوّل، 2021) فيربط دقة ازدياد معدلات "غير عادية" لجرائم القتل لدى فلسطيني 48 مع فقدان مناهج تدريس لديهم تروي أزمنة وأمكنة فلسطينية من شأنها أن ترسخ لمخيال جامع.

تنصبّ في (1) الكتابة البحثيّة؛ (2) الخطابة الأكاديميّة؛ (3) مهارات النشر. بَيْدَ أنّنا لم نَضَعْ نُصْب أعيننا تزويد أعضاء وعضوات الورشة بمهارات تنفيذ البحث فحسب، ليستنسخوا ويندمجوا في المنظومة الأكاديميّة الراهنة وقِوامها "التخصّص المهنيّ" الذي ينطوي على "الانكفاء على الذات" (إغباريّة، 2017)،[16] تلك الذات التي تنشر ثمّ تنشر ثمّ تنشر لمجرَّد ألّا تندثر، ظانّة أنّ "مالها أخلدها".[17] بل لقد عملنا على التزوّد بالعتاد المطلوب للتفكير في شروط البحث، أي في شرط الإنتاج المعرفيّ، أي عملنا على أن نفقه ما يعيق وما قد يعمّق الفكر الساعي لإدراك إمكانيّاته، أو ما يُعْرَف عمومًا بِـ "الفكر النقديّ." ولذلك كان نهجنا في الدفيئة أن نشطر لقاءنا الشهريّ إلى شقَّين؛ في الشقّ الأوّل ناقشنا نصوصًا من اختيار وتقديم الطلبة في موضوع الإنتاج المعرفيّ، وفي الشقّ الثاني كنّا نستضيف محاضِرات فلسطينيّات ومحاضِرين فلسطينيّين في الجامعات الإسرائيليّة من دوائر العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة وكذلك القانونيّة، ليحدّثونا عن سيرورتهم الفكريّة في ممارسة النقد، ولنسائلهم فيها.

هدفت الدفيئة من خلال لقاءاتها إلى إتاحة زمان ومكان "موازيَيْن" تحتضن فيهما أفكار وهواجس وطموحات وقلق السائلين والسائلات في سبيل البحث. ومن الجدير بالذكر أنّنا في "الدفيئة" لم نكن السبّاقين إلى هذا الجهد. فمركز مدى الكرمل قدّم ولا زال "فضاءات مقاومة وممانعة" (إغباريّة، 2017) غير مستنسخة للجامعة الإسرائيليّة، وذلك عبْر ورشاتٍ لطلبة الدراسات المتقدّمة في العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، ودوريّةِ "جدل"، ومؤتمرِ طلبة الدكتوراه السنويّ. بَيْدَ أنّه يمكننا أن نشير إلى غايات ومنهجيّات تميّزُ الدفيئةَ عمّا سبقها. من حيث الغايات، أردنا للمشتركين أن يصارعوا سؤال شروط المعرفة الفلسطينيّة اليقظة، متخطّين بذلك مشاريعهم الفرديّة، وهو ما أشار له أيمن إغباريّة عبْر تعبير علي شريعتي "النباهة الاجتماعيّة" (2017)، فحاولنا في هذه الدفيئة الوقوف عند الأبعاد المعرفيّة لهذه النباهة التي تتطلّب من الباحثات والباحثين الفلسطينيّين تَيَقُّظَهم تجاه شروط معرفتهم، في هذا الزمان وهذا المكان. كذلك أردنا لهذا المسعى أن يُفْضي إلى مُنتَج عينيّ، فيه إفادة مستديمة للمشترِكات والمشترِكين ولمن يليهم في مسار

16.إغباريّة، أيمن (15 كانون الأول 2017). "أن تكون باحثًا فلسطينيًا في جامعة إسرائيليّة". فسحة. https://www.arab48.com/فسحة/ورق/فكر/2017/12/15/أن-تكون-باحثا-فلسطينيا-في-جامعة-إسرائيلية

17.القرآن الكريم (سورة الهُمَزة): وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣).

البحث الأكاديميّ في الفضاء الإسرائيليّ، أي داخل الحوت الذي نحن في جوفه، فكانت هذه الثلاثيّة التي نضعها بين أياديكم محاوَلة لتحقيق هذه الغايات. أمّا من حيث النهج، فلأنّنا أردنا أن نفكّر مليًّا في سبل النهوض بمعرفة فلسطينيّة نبيهة داخل الفضاء الإسرائيليّ، اعتمدنا خلال سيرورة الدفيئة الحِوارات، الآنفة الذكْر، مع محاضِرات ومحاضِرين في الجامعات الإسرائيليّة، لنُسائلهم خلال زياراتهم للدفيئة عن ممارسات الحفاظ وتعزيز مَلَكات النقد الفلسطينيّ ضدّ مشاريع الطمس لكلّ ما هو فلسطينيّ.

ومن باب المصداقيّة نقرّ أنّ الدفيئة بطبيعة الحال لم تَخْلُ من "تذبذب حراريّ" جعلها تستَعِرُ حينًا وتبرد حينًا آخر. لربّما في محفل آخر، ثمّة مكان للغوص في هذه "التذبذبات" التي شكّلت أحيانًا أزمات يجدر أن يُرْهَص لها في محفل غير هذه الثلاثيّة. نذكر هنا، على سبيل المثال، أزمة نقاشات ساخنة جدًّا كادت تعصف بالدفيئة حين غاصت في مواضيع شتّى نحو: قيادات مجتمعيّة ومعايير لمصداقيّتها وعدم مصداقيتها؛ تحرّشات جنسيّة وغيرها من الاعتداءات وسبل التصدّي لها؛ إدانات فيسبوكيّة وتفشّيها؛ عَقْد محاكمات ميدانيّة آثرت التهور فكان الإنصاتُ هو أوّل ما يُعدَم فيها. ولربّما من أكثر ما أعضلنا من هذه النقاشات ذاك النقاشُ حول كوننا في وضع مستحيل يسعى إلى إيجاد سبل للانعتاق الفكريّ من سطوة الجامعة الإسرائيليّة بتشجيع ودعم سخيّ من مؤسّسة فكريّة إسرائيليّة أخرى – أي معهد فان لير ذاته.

وجدنا أنفسنا نَقُدّ من لبّ الحوت، بل من شحمه كذلك، قاربًا قد يُخرِجنا من جوفه نحو بحار سُدّت علينا. وقد تجلّى هذا المعضل في مشروع الدفيئة حين بحثنا عن محاضرين ومحاضرات ليمدّوا "بحبالهم" (مخاطبين أو مُكاتِبين) حتّى "نشيل قاربنا" بها عبْر الحواجز (التي يجوز ولا يجوز تخطّيها مثل حواجز الاحتلال والتطبيع معه) وهي ترسم (أي هذه الحواجز) معالم الفقدان الفلسطينيّ في أرجاء المعمورة. ولا ندّعي أنّ خلافاتنا أفضت إلى حلّ مستديم نستكين فيه وإليه، ومن خلاله ندرك كيف تصير "المعلقة /الملعقة" (أي فان لير نفسه) أحيانًا هي "العَلّاقة" المثبِّتة لحبال الخروج من جوف الحوت، وأحيانًا أخرى تصير هي "علقتنا" للقبوع في ذاك الحوت الذي هو أكبر منّا ومنها.

وإن كانت هذه النقاشات الساخنة قد أعضلتنا حقًّا، فإنّها لم تُبطِل سعينا في اللغة الأمّ، العربيّة. لم يكن الهدف من وراء النأي بالعربيّة، وجدانًا ومعرفة، مجرّد ممارسة الفكر البحثيّ

في "مساحة آمنة" بعيدًا عن مقصّات الخطاب الإسرائيليّ "وأنظمة الجهل" (إغباريّة، 2017) بفلسطينيّة المعرفة كما هو الحال في الجامعات الإسرائيليّة وفلكها. بل كانت الدفيئة على طول مسارها مسكونة بغمار البحث عن أصالةٍ ما في المعرفة. وحين نتحدّث عن الأصالة في المعرفة، نقصد أوّلًا ما يجنّب الباحثَ أو الباحثة وقوع "المغلوب" في منطق "الغالب" على حدّ قول ابن خلدون،[18] وثانيًا، ما يمكّن الباحثة من التدرّب على الفكر المعروف عمومًا بالفكر "النقديّ" (ولأيّ مدى يكون الفكر "غير النقديّ" فكرًا أصلًا؟)، والقصد تحديدًا هنا الفكر الذي يبحث دومًا عن اكتشاف حدوده وظروفه، واستكشاف أصالة لآفاقه في بيداء بداياته، أي بدايات الفكر وما قبله، أي لربّما في آخره. وهي المهمّة المحفوفة بطائل من التحدّيات التي تستوطن طريق أيّ طالب وطالبة اتّخذا من فلسطين بوصلتهما لتنشئة معرفتهما وأخلاقيّاتهما – باعتبارها موطنًا لفكر يقظ، حتّى لأبعاده النبويّة في الأقاصي، ويطلّ كشرفة درويش على "سيرة الوجع الخالدة".[19] وإنْ دَرَس في الجامعة الإسرائيليّة في عصرنا هذا، ينصت لآخَره (وطنه على سبيل المثال لا الحصر) لا لآخَرها (كما تصوغه هي، أي الجامعة)، ويجابه توتُّراته لا توتُّراتها، ويتعلّم كيف يفرّق بين ثنائيّاته وثنائيّاتها. باختصار، يتعلّم كيف يكون له أن "يرقص" بالفكر على إيقاعه لا على إيقاعها (بمدى كونها منظومة قامعةٍ، بل كذلك – بمعنى ما – مقموعةٍ أيضًا على يد قوى أكبر منها – كالسوق على سبيل المثال). فالطالب الفلسطينيّ حين يصل للجامعة الإسرائيليّة من مدارس إسرائيل،[20] غالبًا ما يصل إليها بعتاد هزيل لشحذ الفكر، فيستصعب العثور على موارد ومحفّزات في الجامعة للانعتاق من إرث

18. إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1984). *المقدّمة*. بيروت: دار القلم، ص 174.

وعلى نحوٍ ما يوضّح مجيد شحادة (2017)، لا يبدو أنّ الجامعات الفلسطينيّة قد نجت من فكّي المستعمر الغالب حين تَحْرم هذه الجامعات طلبتها وعلى نحوٍ منهجيّ من الانكشاف على ابن خلدون. انظروا:

Shihade, Majeed (2017). "Education and Decolonization: On Not Reading Ibn Khaldun in Palestine." *Decolonization, Indigeneity, Education & Society* 6 (1): 79-93.

19. درويش، محمود (1996). *لماذا تركت الحصان وحيدًا*. بيروت: دار الريّس، ص 26 .

20. هذا اليتم وهذا الحرمان لم يمنعا الجامعات الإسرائيليّة من أن توفّر في عهد مضى (خاصّة سبعينيّات القرن المنصرم) أرضًا خصبة لبزوغ قيادات طلّابيّة بل سياسيّة للمجتمع الفلسطينيّ برمّته. انظر كتاب: مصطفى، مهند (2002). *الحركة الطلّابيّة العربيّة الفلسطينيّة: دراسة نظريّة وتاريخيّة في جدليّة الجامعة والسياسة*. أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة. للإفاضة من كتابات جديدة في موضوع الحراكات الطلابيّة فلسطينيًا انظر:

أحمد، حنيطي (2021). *الحركة الطلابية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

وعلى الصعيد العالميّ، انظر:

Honarpisheh, Donna (2020). "Introduction: Global Student Struggles in and Against the University." *Critical Times* 3 (3): 479-485.

التدجين الذي كان – على الأرجح – نصيبه في هذه المدارس؛[21] وهي عمومًا المدارس التي قلّما تعلّمك كيف تقرأ لتنصت لما يُكتب، وقلّما تعلّمك كيف تكتب لتكتشف من تكون أو قد تكون. ففي سعيها لإنتاج "عرب إسرائيليّين" معلَّبين متصالحين مع الصهيونيّة ودولتها، تتنكّر مناهج المدارس عمومًا لجذور ولرؤية في الحاضر ونحو المستقبل اسمها فلسطين، وبالتالي تمسخ علاقة الطالب مع احتمالات الماضي والمستقبل، حين تقطع هذه المناهج أواصر امتداد الطالبة في الرحاب الكونيّ لحضارتها العربيّة والإسلاميّة (كحضارة جامعة مثلًا للتراث اليهوديّ والمسيحيّ فيها بل أكثر). فتصل الطالبة إلى حرم الجامعة محرومة من علاقة سويّة مع جذورها وآفاقها، مع ثراها وثريّاها، ويكون اليتم الفكريّ من ورائها ومن أمامها.[22] وبالتالي لا يقرأون – على سبيل المثال لا الحصر – لفوكو،[23] أو على العكس من ذلك "يقرقعون" كتاباتهم (وآذاننا كذلك) بفوكو وأترابه من النظريّة الما_بعد بنيويّة في فرنسا أو

21. أشكر الشاعر والمربّي حنّا أبو حنّا الذي دلّني لهذه الإشارة "التدجين"، والتي تجد صدى لها في تصريح لاحق لدى جاك دريدا (1989: 80):

"لا يمكن الإخطار بوصول الوحوش. لا يمكن أن نقول "ها هي وحوشنا" بلا تحويلها فورًا إلى حيوانات أليفة" (ترجمة المؤلّف) المصدر:

Derrida, Jacques (1989). "Some Statements and Truisms about Neologisms, Newisms, Postisms, Parasitisms, and Other Small Seisms," In "*The States of Theory*, David Carroll [ed.], New York: Columbia University Press, pp. 63-94.

22. عبده مخّول، جنان (2007). "بين 'التعليم العربيّ' وَ 'التعليم للعرب': سياسات التغييب وإمكانات التصدّي". مجلّة الدراسات الفلسطينيّة. المجلّد 18، العدد 69، ص 95.

مرعي، سامي (1984). "التعليم العالي لدى الفلسطينيّين". المواكب. عدد أيلول /تشرين الأوّل.

أبو سعد، إسماعيل (2006). "مناهج التعليم العربي في إسرائيل: أداة لتجهيل الفلسطينيّين العرب". في كتاب: *العرب في الأدب ومناهج التعليم الإسرائيليّة*. إعداد إسماعيل أبو سعد، سمير محاميد، إبراهيم أبو جابر، صالح أحمد. أمّ الفحم: مركز الدراسات المعاصرة. ص 11 - 42.

الحاجّ، ماجد (1994). "تجهيز برامج تعليم في جهاز التربية العربيّ في إسرائيل: تحوّلات ونجاحات". القدس: معهد فلورسهايمر لدراسة السياسات. [بالعبريّة]

جريس، صبري (1973). *عرب في إسرائيل*. بيروت: مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.

Amara, Muhammad and Mar'i, Abd Al-Rahman (2006). *Language Education Policy: The Arab Minority in Israel, Vol 1*. Berlin: Springer Science & Business Media.

Jiryis, Sabri (1976). "The Land Question in Israel." *Merip Reports* 47: 5-26.

23. تستحضرني هنا مقولة محمود ممداني بأن "الاستعمار لم يأت بالنظريّة من الأكاديميّة الغربيّة فحسب ولكن جلب معه أيضًا الافتراض بأنّ النظريّة ينتجها الغرب وتطبيقها هو هدف الأكاديميّة خارجه". (81 :2016). انظر:

Mamdani, Mahmood (2016). "Between the Public Intellectual and the Scholar: Decolonization and Some Post-Independence Initiatives in African Higher Education." *Inter-Asia Cultural Studies* 17 (1): 68-83.

نظرائه من حمَلة منظور "الاستعمار_الاستيطانيّ"، فيصير هذا الأخير في تضخُّم اللجوء إليه تعويذة (أو يكاد يكون كذلك) نحجب بها دنس الاحتلال عن طهارة نتوخّاها في نثرنا، بدل أن نسخّره للولوج فيه (في واقع الاحتلال) ولوجًا محلِّلًا وثاقبًا، مقدامًا ونافذًا.[24]

وبين هذا وذاك من تجلّيات اليتم المعرفيّ الذي يكتنفه التيتُّم في الوجدان الفلسطينيّ عمومًا، تقبع الجامعة بذاتها في عصر يتنكّر للفكر، عصر تحْكمه الخوارزميّات (algorithms)، متجاهلًا أنّ الخوارزميّ لم يَعِش انفصال المعارف وبَتْر بعضها عن بعض، وهو (أي الخوارزميّ) الذي لا بدّ أنّه أدرك في أصالة حضارته أنّ لغته لم تباعد أصلًا بين "الجامعة" وَ "الجامع" بوصفهما مكانين للسعي وراء العلم والحقيقة، كما آل إليه الحال في المعارف الأوروبيّة، وبخاصّة بعد عصر التنوير فيها،[25] وهي ذاتها اللغة (أي العربيّة) التي دفعت على الأرجح بمحمود درويش أن يعترف في حضرة موته وحرّيّته "أنّه المحاصَر بالثنائيّات".[26]

فحين تتحوّل في ذات الوقت الجامعة الإسرائيليّة، كنظيراتها في أنحاء العالم، إلى تابعة لمنظومة ليبراليّة، فإنّها تحوي في جنباتها عدّة صُعُد من التحدّيات أو المخاطر المتربّصة بإعمال الفكر التي على الطالب الفلسطينيّ أن يفطن لها: بداية هناك الخطر الأوّل وهو تبعيّة الجامعة

24. صاغ أيمن إغبارية موقفًا مشابهًا لِما أصفه هنا إزاء تضخّم متجلٍّ في اللوذ إلى منظور "الاستعمار الاستيطانيّ" ودراسات ما بعد الاستعمار عمومًا، حين رأى الكتابة من منظور هذه الدراسات تصير إلى "تحليق فوق الواقع دون أن تلامسه"، ويكون المنظور "معيارًا قيميًّا" لا أداة "تحليل ناقد" (2017).

25. لتقييم علاقات عصر التنوير بالدين، في الإمكان قراءة ما يلي:

Casanova, Jose (1994). *Public Religions in the Modern World*. Chicago: University of Chicago Press.

Koselleck, Reinhart (1988). *Critique and Crisis: Enlightenment and the Pathogenesis of Modern Society*. Cambridge, MA: MIT Press.

Connolly, William (1999). *Why I am Not a Secularist*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

Asad, Talal (1993). *Genealogies of Religion: Discipline and Reason of Power in Christianity and Islam*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University.

Taylor, Charles (2007). *A Secular Age*. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press.

26. درويش، محمود (2000). *جدارية*. بيروت: دار الريس. ص 36.

للمجتمع الذي تنبثق منه،[27] مَهْما اغتربت عنه، ومهما غرّبت أو شرّقت،[28] كونها "جامعة" بذات الوقت للمعارف المناهضة للقمع والتي تثري العتاد النقديّ المتاح للطلبة الفلسطينيّين كعموم الطلبة من جهة، والمتواطئة مع هذا القمع من جهة أخرى.[29] وفي هذا الحال، تكون تبعيّة جامعات البلاد لمجتمع صهيونيّ كينونتُهُ قائمة على أن تنفي، في ما تنفي،[30] كينونةَ الفلسطينيّ كما يتجلّى ذلك في الخرافة التأسيسيّة للمشروع الصهيونيّ ("أرض بلا شعب لشعب بلا أرض") والمستمرّة (أي الخرافة)، منذ وعد بلفور، في قانون أساس القوميّة، مثلًا، الذي هو من جملة تبعاتها الأخرى حتّى هذا اليوم،[31] فنجد الطالب والطالبة الفلسطينيّين في دولة إسرائيل في شرط مستحيل يسمح لهما أن يكونا وألّا يكونا في آن واحد.[32]

---

27. من تجلّيات تبعيّة الجامعة الإسرائيليّة لمجتمع معسكر أصلًا تلاشي الفرق بين الجنديّ والطالب، على نحوٍ ما نرى في شيوع وجود طلبة يزاولون دراستهم أثناء خدمتهم العسكريّة وبزيّ عسكريّ على نحوٍ ما نجد – على سبيل المثال – في برنامج "حفتسلوت" في الجامعة العبريّة. انظر: عنات مطر (2019):

https://www.mekomit.co.il/לא-נוח-לכם-במדים-בקמפוס-לכו-לשירותים-וה/

وكذلك:

Sa'di-Ibraheem, Yara (2021). "Indigenous Students' Geographies on the Academic Fortress Campus: Palestinian Students' Spatial Experiences at the Hebrew University of Jerusalem." *Journal of Holy Land and Palestine Studies* 20 (2): 123-145.

28. ثمّة عبارة طريفة لزيزيك في هذه المضمار بشأن اهتمام الليبراليّة الصهيونيّة بأن تنتج فلسطينيّين "بلا كافئين" "decaffeinated Palestinians":

Zizek, Slavoj (2010). "If Antigone Were a Refugee." Slavoj Zizek, Alain Badiou, and Udi Aloni's lectures for the Jenin Freedom Theater, Church of St. Paul the Apostle, New York, NY, October 16, 2010.

29. على سبيل المثال: أن يدرّس جاك لاكان في جامعة تل-أبيب من جهة، وأن يجري العمل مع أذرع "أمن" الدولة من جهة أخرى. حول علاقة الجامعات الإسرائيلية بشركات السلاح وأذرع "امن الدولة" بامكانكم مراجعة تقرير المركز البلديل للمعلومات في الرابط التالي: https://bdsmovement.net/files/2011/02/EOO23-24-Web.pdf

30. انظر كتاب "العرب اليهود" لهودا شنهاف-شهرباني الذي لا يشرح مصيدة "1948" كحالة مزمنة من الإنكار في الوعي الصهيونيّ "لخطيئة النكبة" التي وُلدت منها إسرائيل، بل كذلك لإنكاروإقصاء الوعي الصهيونيّ، الذي هو وَقودها، بما هو عربيّ:

Shenhav, Yehouda A. (2006). *The Arab Jews: A Postcolonial Reading of Nationalism, Religion, and Ethnicity*. Palo Alto, CA: Stanford University Press.

31. للمزيد من المعلومات حول قانون القوميّة، راجع موقع مركز عدالة في الرابط التالي: https://www.adalah.org/ar/content/view/9571

32. بما كتبته أشكر عامر إبراهيم لهذه الملاحظة بشأن "الشرط المستحيل"، ولكتاب إليزابث بوفينيلي عن التعدُّديّة والليبيراليّة المتأخّرة في أستراليا حيث تقول:

The result is a politics of recognition based on suspicion, based on a condition of impossibility where "[Indigenous] people could neither be nor cease to be themselves in social conditions that maximize the impasse of discursive and moral orders." Povinelli, Elizabeth (2002). *The Cunning of Recognition: Indigenous Alterities and the Making of Australian Multiculturalism*. Durham, NC: Duke University press, p. 3.

ويكمن الخطر الثاني في كون الجامعة التي تحاصره جامعةً هي نفسُها محاصَرة بمنطق يتبع لمنظومة كونيّة تزداد سطوتها يومًا بعد يوم.[33] والمقصودة هنا المنظومة التي تُعْرَف اليوم بطورها "النيوليبراليّ" في تاريخ هيمنة الأسواق ورأس المال وتفشّي الفرعون الداخليّ ("فقال أنا ربّكم الأعلى")[34] في الذات الفرديّة لدى هذه المجتمعات القابعة تحت "الفردانيّة". ومن مجْمَل الضغوط الهائلة التي تواجهها الجامعة في هذا المضمار تسليعُ العلم (أي جعله سلعة) وَ "تزبين" (clientificaiton) المتعلّم (أي جعله زبونًا)، وبالتالي جعْل المحاضِر أو المحاضِرة "وكيل بضاعة" تحت سطوة متزايدة للمكتبجيين ("البيروقراطيين") أو ربّما مجيّد أموال كذلك ("صناديق دعم الأبحاث"). أمّا الخطر الثالث على الفكر في الجامعة، فهو من الفكر ذاته. ونقصد بهذا طغيان الفكر عبْر "تعقيمه"، وانفصاله – عبر سعيه وراء السيادة – عن الحياة عن الحياة بتنوُّعها اللا محدود وغموضها اللا مردود، فيكون العقل هو الحاكم المتحكّم، غافلًا عن هشاشته، غير آبِهٍ بحدس ولا بشهوة ولا بوَحْي في مبتدأ سؤدده، وبالتالي في جوهر عمله، معرّضًا المحاضرين لخطر الانزلاق إلى درك "كهنة" الحقيقة في "كنيسها" العلمانيّ عمومًا، المبتور عن نبض الحياة.[35] وتتجلّى قوّة هذه المَخاطر في قدرتها على تسرُّبل "العاديّ" إذ يحجب بدَوْره حين تشخّصه كخطر.

وإذْ كانت العناية بالفكر – ذاك الفكر الباحث عن شروط أصالته في حالتنا الراهنة، اليقظ في تجنُّبه لهذه المخاطر التي تبدو "عاديّة" ونابعة من "طبيعة الظروف" – هي هاجس الدفيئة النقديّة، وَجد أعضاءُ وعضوات الدفيئة من المناسب والضروريّ أن يطلقوا تجربة هي "الثلاثيّة" كونها محاولة لرصد الشروط التي قد تهيّئ للفكر في يومٍ ما أن يصبو نحو الانعتاق.[36] فطرحنا السؤال، على سبيل المثال لا الحصر، عمّا يمنع أو يدفع إلى نشوء مدرسة فكريّة أو لربّما أرض فكريّة فلسطينيّة ناقدة، أسوة بمنابع أفريقيّة أو هنديّة

33. عن سيطرة صندوق النقد المالي على جامعات أفريقيا مثلا انظر:

Mamdani, Mahmoud (2018). "The African University." *London Review of Books* 40 (19). https://www.lrb.co.uk/the-paper/v40/n14/mahmood-mamdani/the-african-university.

34. المرجع هنا إلى ردّ فرعون على موسى عليه السلام كما نزل في االقرآن الكريم (سورة النازعات، آية 24).

35. إنجيل يوحنّا (32:8): "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ".

36. الافتراض هنا أن فلسطين في إرثها الدينيّ لم تكن غريبة على إدراك علاقة إعمال الفكر بممارسة التحرّر، كما نرى في الإنجيل والتوراة والقرآن.

ناهضت وتناهض الفكر الاستعماريّ،[37] ولا سيّما أنّه من أعمدة مدرسة مناهضة الاستعمار المفكران الفلسطينيّان، مؤلّف الاستشراق (1979)، إدوارد سعيد، وأحد أهمّ ملهميه إبراهيم أبو اللغد، صاحب كتاب تغيير فلسطين (1972). والقصد هنا تلك الأرضيّة التي لا تكتفي في هذه المرحلة من التاريخ بأن تقرّ أنّنا موجودون، بل تشيروتؤكّد كذلك أننّا على حفظ التعدُّديّة قادرون. فنحن قادرون أيضًا، إن شاء الله، على أن نحتوي مختلِفنا ونصون تعدُّدنا، تمامًا كما يرشدنا إلى ذلك اسمنا، أي اسم الأرض، فلسطين، فينا، وكما بيّن لنا ماضينا وذلك قبل مشاريع "التعقيم" أو "التحصين" التي تتطلّبها مشاريع السيادة السياسيّة الحديثة، كما تتجلّى أيّما تجلٍّ في الملاذ الذي حصل على كنيته عند هوبس "الحوت" (Leviathan)[38] وفيه ومنه تعيش الدولة القوميّة الحديثة. إذن نحن لا ندّعي أنّنا بهذه الثلاثيّة قد اكتشفنا معالم الطريق لهذه المدرسة، بل كلّ ما هنالك أنّنا نجد السؤال حيويًّا لأجل تنشيط عضلات الفكر الباحث عن شروط يقظته.

ومن هنا تأتي "المنشّطات" التي هي ثلاث "جرعات" تتألّف منها هذه الثلاثيّة: الحِوارات؛ الشهادات؛ المقارَنات. وقد اختار أعضاء الدفيئة هذه "الجرعات" لتكون مؤونة لهم في مسارهم ومسار مَن يتلوهم ويتلوهنّ في المسار الأكاديميّ الغريب عنهم، ولكلّ "جرعة" منطقها وسنأتي على تفصيله في مقدّمة خاصّة بها. أمّا "الجرعة" الأولى، أي الحِوارات، فهي محاولة للانكشاف على سيرورة المُحاضِر أو المحاضِرة الفلسطينيّة فكريًّا؛ إذ قام أعضاء وعضوات الدفيئة بالتوجّه إلى باحثين وباحثات فلسطينيّين خرّيجي جامعات إسرائيليّة، واليوم هم يدرسون ويبحثون في جامعات إسرائيليّة وغربيّة، وذلك بغية الوقوف عند محطّات مفصليّة في نشأة فكرهم كمشروع تحرُّريّ. تفترض منهجيّة هذه الحِوارات أنّه في الوقوف عند المسار البحثيّ لدى كلّ من المحاضرين والمحاضِرات قد تتبدّد الهالة التي تحيط بالمسار البحثيّ، لنكتشف ترسُّخه في أرض الحياة، وأرق العيش واحتمالاته، كون العمل البحثيّ ممارسة مهنيّة وشخصيّة في آن، عامّة وفرديّة، معرفيّة وخلقيّة، منبثقة عن ظروف لزمان ومكان ما، قد تحاربها حينًا وقد تصالحها حينًا آخر.

37. يعرض أخيل مبميبي (2016) تصورًا للجامعة مغايرًا لما هو عليه الحال في عصر هيمنة الأسواق العالمية على هذه المؤسسة. ففي بحثه عن سبل جديدة لمناهضة الإستعماريقترح مبميبي مخيالًا جديدًا للجامعة، شكلًا ومضمونًا، بعيدًا عن الهيمنة الغربية تصير فيه الجامعة إلى شبكات من مثقفي المنافي. انظر:

Mbembe, Achilles (2016). "Decolonizing the University: New Directions." *Arts and Humanities in Higher Education* 15 (1): 29-45.

38. Hobbes, Thomas (1985 [1651]). *Leviathan*. London: Penguin Classics.

أمّا "جرعة" الشهادات، فتتكوّن من كتابات الأعضاء أنفسهم، في محاولة للوقوف عند بعض تجارب الطلبة الفلسطينيّين في حرم الجامعة الإسرائيليّة، ولا سيّما في ظروف الاغتراب والقطيعة والعزلة عن محيطهم الدراسيّ ومساعيهم لاختراق هذه الظروف بواسطة مشاريع جماعيّة فكريّة_سياسيّة في الماضي والحاضر. وتفترض جرعة الشهادات – في أساس ما تفترض – أنّ الطلبة والطالبات هم أهل لاجتراح لغةٍ لتصف حالهم، بلا تنظير (بالمعنى الديكارتيّ) وبلا تفلسف (بالمعنى الإغريقيّ المهيمن). وعلى نحوٍ ما تَشِي به التسمية "شهادات"، لا يدّعي أيّ من المؤلّفين النجاح أو حتّى النيّة على تقديم "موديل /أنموذج"، إلّا إن كان تعريف النجاح كما في حالتنا هنا هو فعل تأليف الشهادة بعينه، كونها توثيقًا لتجربةٍ مَعيشةٍ قد تكون مَعْلمًا يلهم ويرشد من سيلتحق في السلك التعليميّ ويكابد فيه مستقبَلًا.

أمّا "الجرعة" الثالثة والأخيرة في هذه الثلاثيّة، فهي مكوَّنة من مقارنات لتجارب جامعيّة بين طلبة منحدرين من جماعات مقموعة ومقاوِمة في دول مختلفة. ترمي هذه الحفنة من المقارَنات إلى مَوْضَعة الظرف الفلسطينيّ في سياقه الكونيّ، وبالتالي نفيد من تجارب الآخرين في أنحاء مختلفة من العالم في شقّ طريق العلْم الذي يناهض ولا يشارك في استنساخ القمع. ما نفترضه هو أنّ الشهادات قد تفيد في طرح سؤال عن جاهزيّة فلسطين لأن تعود لنفسها، أرض الصحراء وأمّ البدايات،[39] فتصير لغة قد تفيد الآخرين في إعمال الفكر اليقِظ حول العالم، لا هنا فحسب. أوَليست فلسطين حَرِيّةً بهذا، وهي مهبط كلام السماء بلغاته المختلفة، ومرتقى خطاب الأنبياء الذي بثّ روح العدل والعلم، والمكابدة لأجلهما في آن واحد، في شتّى أصقاع الأرض؟[40]

دون شكّ، لا تتعدّى "الثلاثيّة" كونها بداية، بل ربّما هي مناداة للبداية؛ فهي تنادي بطرح سؤال كيفيّة إيقاظ الفكر لدى الطلبة والطالبات كما يليق بأهل هذه الأرض الآن وهنا.

---

39. الإشارة هنا هي إلى غسّان كنفاني في "ما تبقّى لكم"، وإلى محمود درويش في قصيدته "على هذه الأرض" حيث يسمي فلسطين "أمّ البدايات". الدعوة هنا هي دعوة إلى تخطّي الجدل القائم على التضادّ بين "أثينا" وَ "أورشليم"، بين الفكر الإغريقيّ وذاك العبريّ، بألّا تكون فلسطين مجرّد مكان يرحَب بالغريب ("ابن السبيل")، بل تكون بيتًا له كذلك.

40. انظر ألين باديو وهو القائل: "تحت اسم الفلسطينيّ يرقد ما هو كونيّ:

Zizek, Slavoj (2010). "If Antigone Were a Refugee." Slavoj Zizek, Alain Badiou, and Udi Aloni's lectures for the Jenin Freedom Theater, Church of St. Paul the Apostle, New York, NY, October 16, 2010.

فإنْ نُودِيَ لإيقاظٍ كهذا، فحَيَّ على التفكير، وحيِّدْ عن التكفير (concealment)، علمانيًّا كان أم دينيًّا، عَلَّنا ندرك كيف يعيش الفكر فذًّا نضرًا، بآلامه وآماله، في خدمة الحقيقة والحقّ معًا.